وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القران الكريم والتربية الإسلامية

الدراسات العليا

مرحلة الدكتوراه

اعجاز القران الكريم

حفظ الله تعالى للقران الكريم وحُسْن تأليفه، والتئام كلمه، فصاحتها، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة

ا.د. احمد مناف حسن القيسي

المحاضرة السادسة :

حفظ الله تعالى للقران الكريم وحُسْن تأليفه، والتئام كلمه، فصاحتها، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة

كونه محفوظاً عن الزيادة والنقصان، محروسا عن التبديل والتغيير على تطاول الأزمان، بخلاف سائر الكتب.

قال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) .

فلم يقدر أحد بحمد الله على التجاسر عليه.

حُسْن تأليفه، والتئام كلمه، فصاحتها، ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادةَ العرب الذين هم فرسانُ الكلام وأربابُ هذا الشأن.

فجاء نطقه العجيب، وأسلوبه الغريب مخالفاً لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه، ووقفت عليه مقاطع آياته، وانتهت إليه فواصلُ كلماته، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له.

الصحيح والذي عليه الجمهور والحذاق في وجوه إعجازه أنه :قال ابن عطية بِنَظْمِهِ وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه، وذلك أن الله أحاط بكل شيء علماً، وأحاط بالكلام كلِّه علماً، فإذا ترتبَت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أيَّ لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره.

والبشَرُ محل الجهل والنسيان والذهول، ومعلوم ضرورة أن أحدًا من البشر لا يحيط بذلك، فلذلك جاء نظمُ القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، وبهذا يبطل قول من إن العرب كان في قدرتها الإتيانُ بذلك، فصُرِفوا عن ذلك :قال.

والصحيح أنه لم يكن في قدرة أحد قط، ولهذا ترى البليغ ينقّح القصيدة أو الخطبة حَوْلاً، ثم ينظر فيها، ثم يغير فيها، وهلمّ جرّا.

وكتابُ الله سبحانه لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد، ونحن تتبين لنا البراعة في أكثره، ويخفَى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة.

وقامت الحجةُ على العالم بالعرب، إذ كانوا أرباب الفصاحة وفطنة المعارضة، كما كانت الحجة في معجزة موسى بالسحرة، وفي معجزة.

عيسى بالأطباء، فإن الله إنما جعل معجزات الأنبياء بالوجه الشهير أبدع ما تكون في زمان النبي الذي أراد إظهاره، فكان السحر في مدة موسى إلى غايته، وكذلك الطب في زمان عيسى، والفصاحة في زمان محمد - صلى الله عليه وسلم وقال حازم في منهاج البلغاء وجه :الإعجاز في القرآن من حيث استمرت

الفصاحة والبلاغة فيه في جميع أنحائها في جميعه استمرارا لا يوجد له فترة، ولا

يقدِرُ عليه أحد من البشر

وكلام العرب ومَنْ تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالي منه إلا في الشيء اليسير المعدود، ثم تعترض

الفترات الإنسانية، فينقطع طيب الكلام ورونقهُ، فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه، بل توجد في تفاريق وأجزاء منه.

لمعرفة فواصل الآي طريقان: توقيفي وقياسي، أما التوقيفي :قال الجَعْبَرِي

فما ثبت أنه - صلى الله عليه وسلم - وقف عليه دائماً تحققنا أنه فاصلة، وما وصله دائماً تحققنا أنه ليس بفاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الوقف التام أو للاستراحة.

والوصلُ أن يكون غير فاصلة، أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها.

وأما القياسي فهو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب، ولا محذورَ في ذلك، لأنه لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما غايته أنه محل فَصْل أو وصل.

والوقف على كل كلمة جائز، ووصل القرآن كله جائز، فاحتاج القياسي إلى طريق تعرفه، فنقول :فاصلة الآية كقرينة السجع في النثر، وقافية البيت في الشعر.

ومما يذكر من عيوب القافية من اختلاف المد والإشباع والتَّوْجيه، فليس بعيب في الفاصلة، وجاز الانتقال في الفاصلة والقَرِينة وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيدة.

ومن ثم ترى "الميعاد"و "عليم"مع "يرجعون"

"الثاقب"مع "الطارق"، و"الثواب"مع "الثاقب".

والأصل في الفاصلة والقرينة المتجردة في الآية والسجعة المساواة، ومِنْ ثَمَّ أجمع العادُّون على تَرْك عَدّ (ويَأْتِ بآخرين) :النساء: ١٣٣.

(كَذَّب بها الأوَّلُون)النساء: ١٧٢، و (ولا الملائكةُ الْمُقَرَّبُون)

(مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ)١١٣، بطه - و (لعلهم يتَّقون)الإسراء و

١١، ١٢، بالطلاق حيثُ لم : (أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)و تشاكل طرفيه.

.آل عمران: ٨٣ (أَفَغَيْرِ دِين اللهِ يبْغُون) :وعلى ترك عَدّ

.المائدة (أَفَحُكْمَ الجاهلية يبْغون)

.آل عمران: ١٩٠، بآل عمران (الألباب)الأولي :وعدوا نظائرها للمناسبة، نحو

.الكهف: ١٥، بالكهف (على اللهِ كَذِبا)و

.٨٠، بِطَه : (السَّلْوَى)و

.تقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها :وقال غيره

وهي الطريقة التيْ يباينُ القرآن بها سائر الكلام، وتسمى فواصل، لأنه ينفصل عندها الكلامان، كتاب فصِّلَتْ) :وذلك أن آخر الآية فصل ما بينها وبين ما بعدها، وأخْذا من قوله تعالى .فصلت: ٣ (آيَاتُه

ولا يجوز تسميتها قوافي إجماعاً، لأن الله تعالى لما سلب عنه اسْمَ الشعر وجب

.سلْبُ القافية عنه أيضاً، لأنها منه وخاصةٌ به في الاصطلاح

وكما يمتنع استعمال القافية فيه يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر، لأنها صفة لكتاب الله فلا .تتعداه

الجمهور على المنع، لأن أصله من سجع :وهل يجوزُ استعمال السجع في القرآن، خلاف الطّيْرُ، فَشُرفَ القرآن أن يستعار لشيء منه لفظ أصله مهمل، ولأجل تشريفه عن مشاركة غيره من الكلام الحادث في وصفه بذلك، ولأن القرآن من صفاته تعالى، فلا يجوز وصْفُه .بصفة لم يرد الإذن بها

ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقول في القرآن :قال الرماني في إعجاز القرآن

سجع، وفرَّقُوا بينهما بأن السجع هو الذى يقصد في نفسه ثم مجال المعنى عليه، والفواصل التي تَتْبَع المعاني، ولا تكون مقصودة في نفسها.

ولذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيباً، وتبعه على ذلك أبو بكر الباقلاني :قال.

وقال الخفاجي في سر الفصاحة :قول الرماني: إن السجعَ عَيْب والفواصل

بلاغة غلط، فإنه إن أراد بالسجع ما يَتْبَعُ المعنى - وهو غير مقصود فذلك

بلاغة، والفواصل مثله.

وإن أراد به ما تقع المعاني تابعة له - وهو مقصود متكلف - فذلك عيب.

والفواصل مثله.

وأظن الذي دعاهم إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل، ولم يسموا ما :قال

تماثلت حروفه سجعاً - رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من

الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم، وهذا غَرَضٌ في التسمية قريب.

والحقيقة ما قلناه.

والتحرير أن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفواصل :قال.

فإن قيل: إذا كان عندكم أن السجع محمود فَهلا وَرَدَ القرآنُ كله :قال

مسجوعاً، وما الوجه في ورود بعضه مسجوعا وبعضه غير مسجوع، قلنا، إن القرآن نزل بلغة العرب، وعلى عُرْفهم وعادتهم، وكان الفصيح منهم

لا يكون كلامُه كله مسجوعاً، لما فيه من أمارات التكلف والاستكراه لاستماع طول الكلام، فلم يَرِدْ كله مسجوعاً جرياً منهم على عُرْفِهم في اللطيفة الغالبة من كلامهم، ولم يخل من السجع، لأنه يحسن في بعض الكلام على الصفة السابقة.

إحكام الراي في "وقد ألف الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي كتاباً سماه

أحكام الآي " قال فيه: إن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يُرتكب بها

أمور من مخالفة الأصول.

وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت :قال

منها على ما ينيف على الأربعين حكماً:

١ - تقديم المعمول إما على العوامل نحو :(أهؤلاء إياكم كانوا يعْبُدون)

ومنه :قيل (وَإيّاك نستعين) .

أو معمول آخر أصله التقديم، نحو :(لِنُرِيَكَ مِنْ آياتنَا الْكبْرَى) .

مفعول نرِي (الكبرى)إذا أعربنا.

(ولقد جاء آل فرعون النّذُر) .